Sri Lankan Journal of Arabic and Islamic Studies
Published by Faculty of Islamic Studies and Arabic Language
Volume Vol 6 Issue.IV, October - December 2023
E-ISSN: 2550 – 3014, P. 20-32
DOI: https://doi-ds.org/doilink/03.2023-55683162/6.2-2

حمام مصطفى لمحمد الإسلامي الشعر من المعاني مِن صور

(A SYNOPSIS OF LITERARY SEMANTICS FROM SELECTED ISLAMIC POETRY OF MUHAMMAD MUSTAPHA HAMAM)

Uthman AbdusSalam & Uthman Idrees Kankawi

[1]Department of Languages, Faculty of Humanites and Social Sciences Al-hikmah University Ilorin, Nigeria,
[2]Department of Arabic, Faculty of Arts, University of Ilorin, Nigeria

drabdussalam66@gmail.com[1], kankawi.ui@unilorin.edu.ng[2]

Abstract*: The paper titled: Form of literary Semantic in selected Islamic poems of Mustapha Hamam. Aims at drilling about some aspects of literary semantic of his Islamic poem to justify some Rhetorical applications used in the poem which is every utterance has it peculiar context suitable for its deployment, known as contextual meaning of every speech also in order to grasp some background of Arabic Rhetoric of literary semantic, the paper proceeds with analysis of selected poems of this poet to prove that he has very strong Islamic background good initiative, hardworking, very industrious and law abiding to prove his coated "I have never prove that I am good in any way but I am the best for those who understand me". Lastly, the paper discourses the synopsis of metalanguage of literary semantic of selected applications with illustrations from great Rhetoricians and then finally proceeded to the poems classification by supporting analytical studies then it proved that such literary semantic of Arabic Rhetoric are important to be comprehended in literature studies for everyone who wish to compose in anyone of the aims and objectives of the poem.*

Keywords: *Poem, Islamic, Hamam, Ma'niy, Suwar.*

الملخص:

فهذا البحث المتواضع بعنوانه" صور من المعاني من الشعر الإسلامي لمصطفى حمام " يهدف إلى تبرير الوجود الأدبي والبلاغي لمحمد مصطفى حمام، وإبراز صور مِن المسائل المعانية في الأشعار الإسلامية المختارة لمصطفى حمام من حيث بلاغتها ونكتاتها اللطيفة، وتمكن هذا الشاعر لتعبيره الإعجازي، وبيان قدرته وملكته لأنماط الكلام الذي يطابق مقتضى الحال على سنن العرب، ومحاولة فهم معايير المصطلحات المعانية مِن خلال شعره الإسلامي. وقد تأصل البحث بحقيقة المعاني عند البلاغيين ثم واصل إلى تنويع نكت أطرف تراكيب شعر الحمام الإسلامي، مدعِّما كل مبحث بمظهر مِن المظاهر المعانية مشيرًا إلى أنَّ حياة هذا الشاعر ليست للعب، واللّهو، والترف. . وقد انتهج البحث منهجين: التاريخي المتعلق بالمعلومات التاريخية عن الشاعر، والوصفي لمعالجة الموضوع، وذلك باتباع الخطوات التالية: أسلوب الشاعر، والإيجاز في التعبير، والجزالة والدقة، والطبع والصنعة، والوحدة العضوية في الدراسة، وينقسم البحث إلى خمسة مباحث مسبوقة بملخص ومقدّمة، ومختومة بمراجع ومصادر.

الكلمات المفتاحية: الشعر؛ الإسلامي؛ حمام؛ المعاني؛ صور.

Submitted: 27 Augest, 2023 Accepted: : 17 April, 2024 Published: 13 June, 2024

مقدمة:

يعتبر محمد مصطفى حمام شاعرا مصريا، بل من أبرز شعراء الشعر الإسلامي ورواده، له دواوين مختلفة؛ أهمها: " ديوان حمام" اشتهد بموهبة نادرة، فنظم الشعر وهو دون الخامسة عشر من عمره، ومن قرنه في عصره؛ عباس محمود العقاد وعبد العزيز البشري، و أحمد الكاشف وغيرهم، فعناية حمام بجانب الإسلاميات كانت عناية باكرة.

وحقيقة، فإن الشعر الإسلامي له ارتباط وثيق بالحق الذي منحه الله للإنسان عن طريق المشاهدة الروحية، فدور الصور المعانية البلاغية في هذا العنصر جد مهم في الفن الأدبي، والشعري، واللغة العربية التي تنطبق بالعمق في الأسلوب، والإيجاز في التعبير، والجزالة والدقة، والوحدة العضوية، والطبع والصنعة، (خليل، 1987م)، وكلها هي نقطة الاهتمام في موضوع هذا البحث. ومن الدراسات السابقة لهذا الموضوع تأليف شرف، عبد الله بعنوان" شعراء مصر الذي قامت بطبعته المطبعة العربية بالقاهرة، ودمياط الشاعرة من إصدارات مديرية الثقافة بالدمياط. ومقالة محمد وقيع الله بعنوان" لمحة من العالم الشعري لمحمد مصطفى حمام" و بحث شرف الدين بعنوان" بيانية للشعر الإسلامي عند محمد مصطفى حمام، المنشور في مجلة الكنز لقسم اللغة العربية، جامعة إبرهيم بابا غدا، ولاية نيجر، نيجيريا.

فالغاية في هذا البحث هو تسليط الضوء على بعض المسائل المعانية ومعاييرها، مستمدا ومستنبطا من الشعر الإسلامي لمحمد مصطفى حمام الذي كان شخصية إسلامية، بل مما يشار إليه بالبنان.

المبحث الأول : ترجمة حياة محمد مصطفى حمام

ولد الشاعر محمد مصطفى حمام بقرية فارسكور بمحافظة الدقهلية في اليوم الثامن عشر من شهر أغسطس سنة ست وتسعمائة وألف، ولم يكن يبلغ السادسة من عمره بعد أن توفي والده.

وعلى عادة أهل الريف المصري تولى تربيته جده لوالدته، فأدخله مدرسة فارسكور الابتدائية، فنال حظا وافرا في بعض العلوم كالكتابة والحساب.

وقد ظهرت بعض ارهاصات بنوغه في قول الشعر وهو ما يزال طالبا بالمدرسة الإبتدائية فحدث ذات يوم أن قام السلطان حسين بزيارة المدرسة الإبتدائية بفارسكور فما كان حمام إلا أن ألقى قصيدة ترحيب بالسلطان وهو ما يزال في الصّف الثالث الإبتدائي، فكانت هذه القصيدة بمثابة فاتحة خير ونبراسا يهدي الأبصار إلى تلك العبقرية التي تفتقت في ذلك السن، فقد أثنى عليه السلطان وأعطاه ساعة ذهبية مكافأة له على صنيعه.

(شرف، 1993م).

وبعد أن أتمّ المرحلة الإبتدائية انتقل إلى القاهرة وتولى السلطان حسين ادخاله المدرسة الخديوية الثانوية، وقد كان التعليم في تلك الآونة مقصور على أبناء الجاه والسلطان وقد استطاع الطالب محمد مصطفى حمام أن يواصل الزحف في ميدان العلم إلى أن نال شهادة البكالوريا ولكن يد الزمان قبضَت تلك اليد الحنونة التي كانت تتولى

الإنفاق علي، وهنا تظهر عاية المولى لذلك الطالب فقد حبب إلى السلطان أحمد فؤاد الذي تولى إدخاله مدرسة المعلمين العليا، وهنا يبتسم الزمان مرة ثانية لمصطفى حمام، وذلك بتولى السلطان أحمد فؤاد مملكة مصر.

ولما اندلعت ثورة1919 م، رأينا ثورة حمام تنضم إلى تلك الصفوف المجاهدة على الرغم من أنّه لم يكن قد أكمل الرابعة عشرة من عمره فقد كان يحمله المتظاهرون على الأكتاف ويهتف من أجل مصر، وهنا ثارت ثائرة الملك فؤاد وحرمه مِن رعايته له لإنشغاله بالسياسة وانْضمامه لصفوف المجاهدين وقد كان هذا الموقف في حياة حمام هو الجرس الثاني بعد وفاة والده وهو ما يزال في مرحلة الصّبا، دفعه إلى سبل اكتساب قوت العيش عن طريق عمل يلائم موهبة ويدور عليه لقمة عيش (التفتازاني، 1330هـ).

ومِنْ هنا رأينا محمد مصطفى حمام يتنقل في وظائف مختلفة غير مؤتلفة، فعمل كاتبا بمصلحة الزراعة ووزارة الشؤون الاجتماعية وهيئة الموصلات السلكية واللاسلكية، كذلك عمل كاتبا في مكاتب المحماه وكاتبا في هيئة برير جرجا احدى مرن محافظة سوهاج وكانت في ذلك الوقت هي العاصمة، وقد ضاقت نفس حمام بالتنقل بين وظائف الدولة والتي تسير على وتيرة واحدة ومن هنا قدم استقالته من العمل بوظائف الدولة في صباح الخامس عشر من أكتوبر عام اثنين وخمسين تسعمائة وألف (عوض، 1980م).

ومما يجب ذكرها أنه بعد وفاة والده، وهو ما يزال في مرحلة الصّبا أدخله أحواله كتاب القرية، فحفظ القرآن الكريم، وهو لم يبلغ التاسعة من عمره وهذا الحدث يعتبر من أهم ما يميز شخصية حمام، إذ طبعها بالروح الإيمانية التي ظهرت في شعره بصدق وحرارة.

ومن الجدير بالذكر أنّ حمام شهد أنواعا شتى من الأحداث التي مرت بها مصر فأدرك ما قبل الاحتلا من شبه استقلال وعاصر الأحداث الجسام التي مرت بالعالم الإسلامي فكانت الدول الإسلامية المستقلة كالأفغان وإيران لا تسلم من ختل الاستعمار واقترن هذا الضعف السياسي في الشعوب الإسلامية بالجهل والتخلف الاجتماعي والاقتصادي ونجم من هذا كله خضوع المخرفات والأوهام ومجافاة لروح الإسلام وتعاليمه (حمام، 1974م).

فقد كان للأحداث التي مرت بها مصر أثرًا جليا في تكوين شعره الديني يتركز عليه هذا البحث لنعرف ملكة راسخة فيه لإبداع أنماط كلام تطابق المقتضى على سنن كلام العرب والتيارات والإتجاهات البلاغية والفكرية التي طرأت على شعره الإسلامي بصورة خاصة وشعره العام بصفة عامة .وأمّا شعره الإسلامي الذي نحن بصدد البحث عنه فيشمل المباحث الآتية:

(1)الشهادة (2) الصلاة (3) الزكاة (4) الصيام (5) الحج (6) الدّعاء (7) الاستغفار (8) التقوى

ولم يكن حمام في يوم من حياته أو في بيت من شعره زنديقا أو ملحِدًا فهو مؤمن إيمان تسليم لا يعتريه شك حفظ القرآن الكريم صبيا كما قلنا سابقا وكان يمتع جلساته بتلاوته، حتى ما أن يحل بمجلس إلا ويطلبون منه قراءة القرآن الكريم يبذل المال ويحض على بذله أداء لفريضة الزكاة ذلك شأن صاحب العقيدة القوية النقية، الذي يصدر أدبه عن نفسه (عوض، 1985م)

المبحث الثاني: صور مِن المعاني من الشعر الإسلامي لمحمد مصطفى حمام

1- **الأسلوب** :هو طيقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير (الدحيل، 1994م). ومن خلال قراءة شعره في مبحث الدعاء نجد أن له طريقة خاصةً في اختيار ألفاظه وتأليفها، للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير وهذه الطريقة تسمّى عند النقاد بـ الأسلوب قال:

دعوت الكريم سميع الدعـــــاء ** وناديت ربـــــي مجيب النداء

إذا قلت للناس قولًا سديـــدًا ** وكنت العشير الحكيم الرشيدا

وتابعت نهجـا قويمـــا حميدا ** ولـم ألق عند العبـــــاد الجزاء

نلاحظ أن الأسلوب فيها يتكون من شيئين أساسيين) :أ (الألفاظ) ب (الجمل والأسلوب الذي استخدمه محمد مصطفى حمام في هذه الأبيات فصيح سليم لسببين:

أولا: لأن ألفاظه فصيحة

ثانيا: لأنّ جملة فصيحة.

كلماتها فصيحة لأنها خَلَتْ مِن عيوب ثلاثة.

تنافر الحروف ومخالفة واضع اللغة والغرابة وكانت جملة فصيحة لأنها خَلَتْ مِن عيوب أربعة التي هي ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد اللّفظي والتعقيد المعنوي ونلاحظ أيضا أنّ هذه الأبيات خالية مما يلحق بالكلمة والجملة من عيوب، نلفت أنظارنا إلى ما في أسلوبه من صفات الأسلوب التي هي:

1) **الوضوح** :فإن معانيها تأتي إلى الأذهان دون تعب فقد وُفِّق الشاعر في اختيار ألفاظه وجمله لتدل على المعنى الذي أراده في سهولةٍ وضوح(Riffaterre,1978) .

2) **القوّة** :وهي قدرة الشاعر على التأثير في نفس القارئ أو السامع بحيث تكون ألفاظه ومعانيه التي يستخدمها قادرةً على التعبير عن أفكاره ومشاعره في عاطفة صادقة .

ومن الوسائل التي استخدمها في هذا البحث ما يلي:

1) استعمال الكلمات استعمالًا مجازيا إذا اقتضى الحال ذلك

2) تقديم ما حقُّهُ التأخير من الكلمات لتحقيق هدف بلاغي كما في قوله

إلهي إلى الخير فاجعل خطانا ** وَعَنْ سُبل الشر فاصرفْ هَوَانَا

2- الإيجاز في التعبير في المقام الذى يَدْعو إلى الإيجاز لأنه عرف تمام المعرفة أن النّص الأدبي إذا خالف هذه الأسس ابتعد عن القوة ومال إلى الضّعف.

3- **الجزالة والرّقة** :هما وصفان للألفاظ التي يستعملها الأديب في التعبير عن معانيه فإذا تحدّث في مَوْضوع من الموضوعات التي تحتاج إلى القوة كوصف الحرب مثلا استعمل الكلمات الجزلة كالألفاظ التي استخدمها عند ما يوضح مدى رهافة المشاعر الإنسانية أمام الموت. فقال:

غير أنّ الفراق مـــر وتسقيـ ** نا الليالي مِن كأسه ما تشاء
أفدح الرزء أن تنادى من تهـ ** ـوى وترجو حلا يلى النـدا

(المجلس الأعلى للثقافة، 1987م)

ولكن موضوعه في مبحث الدعاء كان رقيقا ولذلك استعمل الكلمات الرقيقة

دعوت الكريم سميع الدعاء ** وناديت ربي مجيب النداء

4- **الوحدة العضوية** :لذلك نراه بنى هذه الأبيات بناء عُضوِيًّا حيًّا وتحقق ذلك لأنّ الأبيات توافرت فيها ما يلي:

أ- وحدة الموضوع

ب- وحدة المشاعر

ج- ترتيب الصور والأفكار ترتينا منطقيا تتقدم به الأبيات شيئًا فشيئًا حتى انتهى إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الصور والأفكار

د- كانت هذه أجزاء الأبيات محكمة مترابطة بحيث يؤدّى بَعضها غلى بعض عن طريق تسلسل الأفكار والمشاعر.

5- الطبع والصّنعة:

يلاحظ أن محمد مصطفى حمام في هذه الأبيات ترك نفسه على طبيعتها في التعبير عن أفكاره بحيث تجيء كلماته وعبارته مُعَبّرة عن مشاعره من عند تكلّف .أمّا الصّنعة في الأبيات فهي تكلّف الكلمات والعبارات التي تدل على المعنى لتحقق نوعا من أنواع المحسنات اللّفظية كسجع الكهان.

وحول تلك الصنعة قال:

ووجه إلى ما ترتديه رضـانـــا ** وهيّء لنـــا مِن لدنك الدليل
عَليكَ اتكلنـــا ونعم الوكيل ** وأنت الولـــــي وأنت الكفيل

ثم قال:

سألناك طُهرًا لأغراضنـــا ** سَألنـــاك برئ لأمراضنـــا
سألنـــاك سترًا لأعراضنا ** ولطفا لدى كل خطب جليل

وحين ننظر إلى هذه الأبيات هنا وهناك نجد أن حمام جمع صفات الأسلوب الجيد من الوضوح والجزالة والطبع واستخدام الكلمات في أماكنها المناسبة الموحية المعبة اللائقة للموضوع ولذلك توافرت في الأبيات رابطة قوية وتلاؤمُ بين الشاعر والأفكار حقّقا وحدته العضوية.

المبحث الثالث: نظرية حمام في الدّلالات البلاغية لتراكيب الجملة

سبق أن قلنا في المبحث الأول إنّ البلاغة هي مناسبة الكلام لأحوال السامعين وللموضوع الذي يقال فيه الكلام بعد فصاحته وقلنا أيضا أن العلم الذي يبحث في هذا هو ما يسمّى عند علماء البلاغة عِلْم المعاني ومن مباحثه الخبر والإنشاء وأحول المسند والمسند إليه والقصر والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وسنبدأ بأسلوب الخبر.

قال محمد مصطفى حمام في مبحث الصِّيام

الصّوم حرمان وزهد وكـــم ** فيه لطلاب الهدى من مـــرام
والزهدان تخلط به شهـــوة ** تخلط حلالا طيبا بالحـــرام
والصوم صبر عاصم فليكـن ** للنّاس بالصّبر الجميل اعتصام
والصوم للروح غذاء ومـــا ** كان غذاء للحسوم والحساب (حمام، 1974م)

يشير إلى أن شهر رمضان شهر القرآن، فيه تجلى المولى على حبيبه المصطفى بنزول القرآن في ليلة مباركة تلك هي ليلة القدر فيجب على المسلم أن يحي ليله بالذكر وخير الذكر قراءة القرآن الكريم وتدبره على كل حال لقد نرى الشاعر يمدح الصوم وبصفات جميلة لمن أراد أن يعمل فيه بصدق ونية حسنة ثم وصف لياله بأنّها مهبط وحي الله ومصلّى ملائكته ومسجد أنبيائه ورسله والليالي التي أخلص فيها الأولياء والصّالحون العبادة لربهم فشملهم برحمته وأدخلهم جنته. يضُمُّ نَصُهُ هذا من الأخبار في وصف الصَّوم وهي كما نرى – أخبار تحتمل الصّدق والكذب دون نظر إلى القائل، فإن كانت مطابقة للواقع فهي أخبار صادقة وإن كانت مخالفة للواقع فهي كاذبة وبهذا نستطيع أن نعرف الخبر في النص أنّه :كل قولٍ يحتمل الصّدق والكذب لذاته بصرف النظر عن قائله وهذا هو تعريف الخبر عند علماء البلاغة جميع هذه الأخبار التي سمعناها أو نقرؤها في أشعاره الإسلامية ثلاثة أنواع فمثلا يقول:

الصوم حرمان وزهر و ـــــوالصوم صبر عاصم ـــــ والصوم للروح غذاء

هذه الأخبار وجدناها خاليةً من أدوات التوكيد التي عرفناها في مادة النحو؛ لأنّه يرى أن مخاطبه يخلو ذهنه من هذه الأخبار، ولذلك لم ير حمام حاجة إلى توكيدها فألقاها خالية من أدوات التوكيد ويسمى هذا النوع ابتدائيا.

خلافا للمقام الآخر الذي رأى الشاعر المخاطب يشك في صِدْقه فهو بين المصدّق والمكذّب وأكّد له الخبر بإحدى التوكيد لتزيل شكه وتردده لأنّ التوكيد يمنح الخبر قوَّةً مثل قوله للذي يشوك عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

إن الرسول الذي دعا وهدى ** وأبلغ الدّين للورى قيما

فأكّد له الخبر بأداة توكيد واحد وهي هنا) إنّ (لتزيل شكه ويسمّى هذا النوع طلبيًّا.

والمقام الثالث الذي رأى حمام مخاطبه مُنْكِرًا غير مُصَدِّقٍ بمضمون خبره أكَّد له الخبر بأكثر من أدوات التوكيد على حسب إنكاره قوَّةً وضَعْفًا لتزيل إنكاره وتدعوه إلى التصديق وفي مثل هذا المقام يريد أن ياتي صورة مماثلة تأتي معاني جديدة وأفكار مبتكرة عن بسالة الجندي المصري فهو يستقبل الموت فرحا بشوشا، كناية عن شجاعته وتملك عقيدة الإيمان بفؤاده، وما النيران إلا أمطار في يوم شديد القيظ، وأنّ أصوات المرافع المدوية من حوله كأنّها

أنغام من قيثارة تعزف سيمغونية رائعة تشدوا عليها بأعذاب الألحان، وما الدماء ولونها إلا بهاء الورد الأحمر الناعم، يضفى على ناظريه السعادة ولذلك رأى ضرورة تعبير هذه الدعوات إلى التوكيدات يقول:

يستقبل الموت الرهيب مرحبـــا ** ويهش لليوم العبوس الأنكـــد
وكأنّما النيـــان صب صبيهـــا ** من فوقه برد روى للصـــــدى
وكأن أجســـاد العدو أمـــامه ** بحف تسرى عـــن كليل مجهد
وكأنّ فرقعة القنـــابل حولـــه ** رنـات عود أو أغانـــي منشد
وكأنّ في لـون الدعاء سعـــادة ** وكـــأنّه من قبلها لـــم يسعد (حمام،1974م)

والأمر هنا مثل أن تقول لرجل ينكر نزول المطر؛) لقد نزل المطر (فتؤكد له الخبر بأكثر من مؤكد لإزالة إنكاره والمؤكدان هنا القسم المحذوف الذي دَلّت عليه اللام اللواقعةُ في جوابه، والحرف قد ولذلك نرى حمام في ذلك المقام يكرر كأنما مرة بعد مرةحيث كررها خمس مرات ويُسَمَّى هذا النوع إِنْكَارِيًّا (وقيع الله،محمد، د/ت).

وبالنسبة لأغراض الخبر، عند قراءتنا لأبيات محمد مصطفى حمام في مبحث الزّكاة فيصف الزّكاة بالنهر المتدفق في حيوية وتجدد يسقى الظمآن ويروى العطشان ويمنحه الطمأنية قال:

إذا نهر الزّكاة جرى وجارى ** من الصّدقات هتانا عميمًا (حمام،1974م).

ثُمَّ يبيّن الشاعر كيف وظف الإسلام الزّكاة، وذلك حتى لاتوجد الفوضى في الأموال التي تدفع إلى الضّعف والتواني في الأعمال ويدب الفساد في الآداب والأخلاق، ثم عاد يرغب المسلمين في البذل؛ لأن الله هو الرزاق فإذا كان قد يسر للأغنياء سبل الثراء، فإنّه لم يغفل حقوق الفقراء والضعفاء فيها، وحذر الأغنياء من البخل بمالهم. (عوض، 1985م).

فيقول داعيا للإنفاق والبذل:

قَـــد يرد الله مـــا تقرضه ** صحـــة للجسـم والنفس ومتعه
أو يجـــازيك مـــا قدمته ** كـــل مـــا تطلب من جاه ورفعه
ولقد يدفع شـــرا عنك لا ** يملك المـــال ولا السلطان دفعه
ولقد يستر مـــا أن يفتضح ** تخفض الرأس ولا تستطيع رفعـــه
أيّهـــا المهلك مـــالا لبدًا ** تمنـــا للسم فـــي زهو وروعه (عوض، 1985م).

نتأمل الأخبار التي اشتمل عليها النهي نلاحظ أن الشاعر يريد أن يفيد السّامع أو المخاطب من الأغنياء بما يَجْهله عن الزّكاةِ وهذا الغرض يسمّى" فائدة الخبر "لأن الشّاعر يقصد أن يفيد المخاطب بالحكم الذي تضمنه الخب وقد يُلْقى المتكلم خبرًا من الأخبار وليس غرضه أن يخبر السامع أو المخاطب بما اشتمل عليه الخبر من فائدة لأنّ ذلك معلوم عند السامع قبل أن يعلمه المتكلم وإنّما غرضه أن يبيّن له أنّه عَالِم بالخبر مثل" لقد تصفحت ديوان حمام جيّدًا فالمخاطب يعلم أنّه قد تصفح الكتاب جيّدًا فهو لم يستفد من مضمون الخبر وإنما استفاد أن المتكلم عالم به

ويسمى هذا الغرض لازمَ الفائدة فكان الشاعر على يقين بأن المولى – سبحانه – سميع الدعاء ويستجيب لعباده دعاءهم فهو وحده مَنْ بيده العفو والصفح والعقاب والجزاء.

شاعرنا حمام يعرف تمام المعرفة أن الله عارف يعلم هذا كله ولا يخفى عليه شيء ولكنه يريد أن يبيّن لنا أنه يعرف ذلك أيضا قال:

دعوت الكريـــم سميع الدعاء ** وناديت ربـــي مجيب النـــداء
إذا قُلْت للنـــاس قولا سديدًا ** وكـنـت العشير الحكيم الرشيدا

وهذان هما الغرضان الرئيسان من إلقاء الخبر في البلاغة العربية.

قد يُلْقَى الخبر لأغراض بلاغية أخرى تفهم من سياق الكلام منها إظهار الضعف

قال في هذا الصدد:

علمتني الحياة أنـــى وان عش ** ت لنفســـي أعش حقيدًا هزيلا
علمتني الحياة أنـــي مهمـــا ** أتعلم فـــلا أزال جهـــــولا

(عوض، 1985م).

هنا ختم الشاعر قصديته التي وصف فيها رحلته في الحياة مبيّنًا أنّ الإنسان لم يخلق ليعيش لنفسه ومهما اغترف من معين العلم فهو عجاز لإدراك جميع لأشياء وبالتالي ما يزال جاهلًا عن كثير من الحقائق والخفايا.

يصف الشاعر حاله ويظهر ضَعْفه وعجزه عن إدراك جميع متطلباته في الحياة .ومن هذا القبيل في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ مريم: ٤

وقد يكون الغرض من إلقائه الاسترحام والإستعطاف كقوله عند ما يستعذ الشاعر في دعائه للواحد الحي الصّمد . من كل جاحد حاسد حاقد ظالم لنفسه ولغيره الساعين في الأرض فسادًا.

فيقول:

أعـــوذ بـــــالله الأحد ** البـــارئ الحـــي الصّمـــد
من كل جـــاحد جحد ** ومن كـــل غوايـــات الجسد
والنافثـــات فـــي العقد ** وحـــاســـــد إذا حســـد
أعوذ بـــــالله الأحـــد ** البـــارئ الحـــي الصّمـــد
أعـــوذ بالله الحكـــم ** مِـــن الظلـــوم أن ظلـــم
والمـــــانعين للنعـــم ** والجـــالبـــيـــن للنقـــم
ومستبـــيـــح للحـــرم ** وكـــــاذب إذا وعـــــد
أعـــوذ بـــــالله الأحد ** البـــارئ الحـــــي الصّمد (عوض، 1985م)

فإنه في هذه الأبيات لم يقصد إفادة المخاطبين مضمون الخبر ولم يقصد إفادته أنه يعرف مضمون الخبر كما عرفه المخاطب بل قصد به الإسترحام والاستعطاف.

ومن هذا القبيل قولك" إنّي فقير إلى عفو الله وغفرانه". وقد يكون الغرض الحث على السّعي والاجتهاد.

ويدين حمام بأن الواحد الموجود حي لا يموت فمهما تعالى وتكبر البشر ومهما بلغت خزائنهم من أموال ومهما لبسوا من ثياب الفخر والجاه فالله أكبر من كل كبير يغنى الجميع ولا بقاء لسواه .قال:

الله أكبر لا كبيـــر ســـواه ** تَفْنـــى القوى والباقيات قواه
يأكل من هـــو معجب تياه ** فتن الأنـــام بعـــزه وعـلاه
إن كـــان كبرك الغنى والجاه ** فـــالله أَكْبَرُ لا كبير ســـواه (حمام، 1974م).

إنه رأى أن الحث على السعي والقيام بالواجبات الإلهية والإجتهاد هي طيق النجاح في هذه الحياة .ومن هذا القبيل حمام:

ربنـا اجعلنا أصح النّاس دينا ** واجعل لدنيـــا لنـا خفضا ولينا

قول السَّمَوْأل بن عاديا: " فليس سواءً عَالِمٌ وَجَهُولُ

المحبث الرابع: أسلوب الإنشاء في شعر حمام

عرفنا في ما مضى أنّ الخبر هو ما يحتمل الصّدق والكذب لذاته دون نظر إلى قائله .الآن ننظر إلى قول محمد مصطفى ربنـــا واطبع ذرارينـــا على ** معنة التقـــوى بنـــات وبنينـــا
وتغمد والدينـــا بالرضـــا ** واجعـل الغفران عقبـــى لذوينا
وازرع الرحمة فـــي أنفسنـــا ** واكفنا بأس القســـــاة الظالمين
وإذا أوليتنـــا يـــا رب نعـ ** ـماء فصنها من عيون الحاسدين
وإذا أنزلت ضـــراء بنـــــا ** فاجزنا عنهـــا جزاء الصّابرينـــا
وإذا ما انكشف الضرّ فألهمـ ** نـــا وفاء الأوفياء الشـــاكرين (حمام،1974م).

ننظر إلى قول الشاعر – اجعل واطبع – وازرع وغيرها في الأبيات السابقة نلاحظ أن الشاعر ثم يأمر ربّه بشيء في هذه الجمل ولكنه يسترحمه ثم يطلب العون من الله – سبحانه – بأن يجعله من الشاكرين لنعمائه، الحامدين لفضله، الصابرين في الضراء والمعينين للضعفاء والبائسين، وختم دعاءه بأن يبهره الخالق بأمور دينه فلا يضل ولا يشقى غير منتون بزينة الدنيا.

فهل يصحّ أن يقال للشاعر إنّه صادق في كلامه هذا أو كاذب طبعا لا يصِحُّ أن يقال له ذلك لأن حمام لا يخبرنا بحصول شيء أو عدم حصوله وإنما يسترحمه .ومثل هذا الأسلوب يسمّى انشاء) الإنشاء الطلبي.

(عوض، 1985م).

فأسلوبه الإنشائي هذا :هو الكلام الذي لا يحتمل صِدقا ولا كذبًا لأنه لا يخبرنا بحصول شيء أو عدم حصوله الإنشاء الطلبي هذا هو ما يستدعى شيئًا مطلوبًا غير حاصل وقت طلب ويكون بالأمر كما رأيناه في أبياته والنّهْي هو طلب الكَفّ عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام كالذي صادر مِن الله لعباده أمّا الذي صدر بين زميلين فهو يسمى الالتماس لحقول حمام:

ولا تنكرا قلب الأبوة أنه ** معين حنان دائم وسلام (عوض،1985م).

جاءت تعبيرات الشاعر رائعة كليلة الربيع الحالمة التي تراعب أوتار القلب وتحثها على البرّ بالوالدين فهي فريضة واجبة في طاعتهما بعد طاعة الله ونهى نهيا جازما عن انكارهما.

وقد يكون بالاستفهام والنداء والتمنى، أما الاستفهام فهو في قوله:

ماذا يؤلف بيننا ويلمنـــا ** إن لم يؤلف بيننا القرآن

ورسالة قدسية ومساجد ** ومنـــــابر ومآذن وآذان (حمام،1974م).

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل.

وأما النداء ففي قوله:

أقول يـــا ربّ لا تجعل لنا أهـــــلا ** فـــــي غير بابك أن يخلق لنا أمل

يا رب واكفف أذانا عن عبادك في ** ســـــر وجهر إذا جاروا وان عدلوا

إلى قوله:

يا رب واجعل لنا في كل فاجعة ** لطفا إذا الأمر أعيت دون الحيل (حمام،1974م).

والنداء هو طلب الإقبال بحرف نائب عن أدعو كان حمام داعيا المولى أن يمنحه الأمل حتى يستضيع أن يؤدي رسالته في الكون وأن يدفع أذى خلقه عنه فهو – سبحانه – خير مسئول وأقرب مَأمول لطيفا في حكمه.

أمّا الإنشاء غير الطلبي هو مالا يسترعى مطلوبا وله صيغ كثيرة منها – التعجب – القسم – التراجى أفعال المدح والذم لكنها لم ترد كثيرة في شعره الإسلامي الذي نحن بصدد الحديث حوله وأمثلتها على الترتيب كالآتي:

1- التعجب – ما أجمل السماء
2- قوله تعالى] :والشمس وضحها[
3- التراجى :ويكون بلعل وعسى وغيرما كقوله تعالى] :فعسى الله أن يأتي بالفتح[
4- أفعال المدح والذم :كنعم وبئس نحو نعم الشباب البارُّ بوالديه وبئس الخلُق الكذب.

(الدحيل، 1994م) .

المبحث الخامس: بلاغة القصر في شعر حمام

عرّف البلاغيون القصر بأنه هو تخصيص أمْرٍ بآخر بإحدى طرق القصر المعروفة وطرق القصر المعروفة عندهم أربع:

أ- النفي والاستثناء والمقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء قال في هذا

وما وجب اللذع لفيه ** ولا استوجب الصفح إلا قفاه

لقد قصر حمام استئجاب الصفح على القفى فهذا القصر من نوع قصر الصفة على الموصوف حيث لا تتجاوز هذه الصفة موصوف آخر.

ولا يغيب عن أذهاننا أن النكتة البلاغية التي سوغ الشاعر إلى استعمال طريق النفي والاستثناء هو أنّهما يستعملان في أمر يجهَلُهُ المخاطب ويُنْكِرُه.

ومن هذا قبيل قوله بطريق تقديم ما حقه التأخير:

إلهي إلى الخير فاجْعَل خطانا ** وعن سُبُل الشّر فاصرف هوانا

يدعو ربه متضرعا في خشوع بأن يوفقه للخير ويجنبه الشر وهنا أظهر شخصيته ومهارته البلاغية حيث لجأ إلى أسلوب القصر بتقديم ما حقه التأخير لأن الترتيب الأصلي المنطقي هو فاجعل خطانا إلى الخير ولما رأى الشاعر أن البلاغة التي كانت في هذا التعبير ضئيلة لجأ إلى أسلوب القصر وفق الغرض المقصود هو التخصيص الذي أفدنا من تقديم ما حقه التأخير المقصور عليه هو قوله" إلى الخير "وقوله" عن سبل الشر "إذا سهل علينا أن نعرف المقصور عليه يسهل علينا أن نعرف المقصور وهو المؤخر لأن المقصور عليه مع طريق تقديم ما حقه التأخير هو المقدم ولا يتجاوز المقصور إلى مقصور عليه آخر فهو من قصر الصفة على الموصوف (الشخون، 1984م).

وتعبيره آخر بطريق إنّما قوله:

علمتني الحياة أنّ حياتـــي ** انّما كانت امتحانا طويلا

قد أرى بعده نعما مقيمـــا ** أو أرى بعده عذابا وبيلا (حمام، 1974م)

وهذان بيتان من شعره في مبحث الإيمان يصور أن الحياة صراعا وامتحانا طويلا حيث قصر حمام الامتحان على حياته ونفاها عن غيره قصرًا إضافيا حقيقيا تحقيقيا فهو قصر موصوف على الصفة لأن مقصور عليه مع انّما هو ما جاء بعده مؤخرًا.

والفرق بين النفي والاستثناء اللّذين استعملهما سابقا أن النّفي والاستثناء يسعملان في أمر يَجْهَلُهُ المخاطب ويُنكره ففي قوله بنفي والاستثناء ردٌّ على مَنْ ينكر استئجاب ويعتقد شيء آخر دون هذا الاستئجاب.

أمّا انّما في هذين بيتين فتستعمل في أمر لا يجهله المخاطب ولا يُنْكِره (الدحيل ، 1994م) .

فالمخاطب في تعبير بإنما لا يَجْهَل أنّ حياة الشاعر امتحان طويل مِن عبر الحياة وحوادث الدهر التي حدثت للشاعر لأنّ هذا أمْرُ معلوم ظاهرُ ولكن قصد بها التعريف بذم أعدائه أنّهم لعدم اعترافهم بشاعريته وعبقريته النادرة وموهبة الخارقة أصبحوا في حكم مَنْ لا عقل لهم، واستعمال هاتين الطريقتين" النفي والاستثناء "وإنّما يكسبان الكلام قوّةً وتأكيدًا وعندما نَتَأمل قوله في تقديم ما حقه التأخير:

إلهي إلى الخير فاجعل خطانا ** وعن سبل الشرّ فاصرف هوانا

فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به لفعل الأمر المؤخر فاجعل وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت يعود إلى الله جلّ شأنه ولو قال حمام إلهي فاجعل خطانا إلى الخير لزال القصر والتخصيص ومثله في القرآن الكريم تقديم الخبر على المبتدإ في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ البقرة: ٢٨٤

- من استعملات الوصل والفصل لدى حمام

بالتأمل في تعبيرات حمام استبان لنا أن الوصل بين الجملتين يقع في مواضعه الثلاثة وكذلك الفصل بالتأمل إلى تعبيراته ووقع في خمسة مواضع:

أولا :الوصل يميل حمام إلى الوصل:

أ- إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب بأن كانت واقعة موقع المفرد من حال أو خبر أو مفعول أو غير وقصد تشريك الثانية لها فيه وليس هناك ما يمنع منه مع وجود المناسبة.

مثل قوله:

ماذا يؤلف بيننا ويلمنا ** ان لم يؤلف بيننا القرآن

وصل حمام بين جملتين لأن للجملة الأولى محل من الإعراب لأنها فعل مضارع مرفوع لتجرد عن النواصب والجوازم في محل فعل خبر للمبتدأ ماذا – وكذلك الجملة الثانية لها محل من الإعراب محلها رفع خبر ثاني للمبتدأ ماذا ولذلك لجأ شاعرنا إلى الوصل .

ب- ولم يرد في شعره الإسلامي كما ظهر لي شعره ما جاء على الموضع الثاني وهو اختلاف الجملتين في الخبرية والإنشائية إذا كان الفصل يوهم خلاف المقصود .

ج- أمّا الموضع الثالث فهو كثير في شعره يقال له التوسط بين الكمالين مع عدم المانع وذلك إذا اتفقت الجملتان خبرًا أو إنشاءً لفظًا ومعنى أو معنى فقط كانت بينهما مناسبة تامة ولم يكن هناك مانع العطف مثل قوله:

مكانة في حمى الرحمن علياء ** وأنعم منه لا تحصى وآلاء (حمام، 1974م)

ومن هذا قبيل قوله في وصف هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم معبرًا عن تلك اللّوحة الروحانية الرائعة (عوض، ---، ص148).

والأمن واليمن في ركابهما ** والعزم والصّبر بعض حبذهما (حمام، 1974م)

هذا قليل من الكثير من شعره على هذا الموضع.

ومن عجائب شعره في الفصل اختيار للموضع الثالث في أجمل تعبيره في رسم صورة شعرية مشتملة على صفات ومناسك الحج.

د- والموضع الرابع هو شبه كمال الاتصال وضابطه أن تكون الجملة الثانية وقوية الصّلة بالأولى بوقوعها جوابًا عن سؤال يفهم منها كقوله له في مبحث الحاج:

موكب الحجاج فيه زاخر ** مقبل من كل دان وقصى (حمام، 1974م).

لم يعطف حمام الجملة الثانية) عجو البيت (مقبل من كل دان وقصى على الأولى صدر البيت" موكب الحجاج فيه زاخر لشبه كمال الإتصال فإنّ الثانية جواب سؤال نشأ عن الأولى فكأنه قيل أين فقال" :مقبل من كل دان وقصى."

نظيره في القرآن الكريم قول سبحانه وتعالى جلّ ذكره في سورة يوسف

ﭧﭐﭑﭒ ﱁ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □
□ □ □ ﱠ يوسف: ٥٣

لم تعطف الجملة الثانية" إن النّفس لأمارة بالسوء "على الأولى وما أبرئ نفسي "لشبه كمال الاتصال؛ لأنّ الثانية جواب سؤال عن الأولى مقدرًا وقد يكون هذا السؤال مصرّحا كقوله تعالى في سورة يس ﭧﭐﭑﭒ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نىني □ ير □ □ ين □ □ □
□ □ □ □ بجّ يس: ٧٨ - ٧٩

لم تعطف بين الجملة الأولى ولذلك جاءت الجملة الثانية منفصلة" قل يحييها "لأنه لا تعطف بين السؤال والجواب (عبد السلام،2016م).

الخاتمة:

لقد قطع هذا البحث شوطاً بعيداً في التحليل البلاغيل للشعر الإسلامي لى محمد مصطفى، ويظهر من هذه الدراسة ما لشعر حمام الإسلامي من حسن المشاركة الأدبية في هذا المجال البلاغي، وظهر لنا من خلال دراستنا في هذا البحث ما يلي من نتائج:

- كان محمد مصطفى حمام من أبرز الشعراء الإسلاميين.
- وأن شعره تأثر بالأدب الإسلامي من حيث الصياغة والأسلوب.
- ولشعره سمات الوضوح والقوة، والإيجاز في التعبير، والجزالة والدقة، والطبع والصنعة.
- وثبتت لحمام نظرية خاصة في الدلالات البلاغية لتراكيب الجملة.

- وله أروع الأسلوب في التعبير الإنشائ الطلبي وغير الطلبي مع يلاغة القصر المتبلور في شعره. رح

ونوصي إخواني الباحثين أن يولُّوا وجوههم شطر دراسة هذا الموضوع وطرحه على بساط البحث وتوطيد أواصره على الوجه الأكمل من أضلاعه جميعا. والله المسستعان.

المراجع والمصادر:

التفتازاني، سعد الدين, (1330هـ)، المطول على التلخيص، القاهرة: مطبعة القاهرة. ص.37 .

حمام، محمد مصطفى، (1974م) ديوان حمام مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص41-149.

خليل، عماد الدين، (1987م)، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، بيروت: مؤسسة الرسالة. ص23.

الدحيل، محمد ناصر، ونصر، محمد إبراهيم، و الشريف، عبد الله، (1994م) سلسلة تعليم اللغة العربية الرابع، (البلاغة والنقد)، إشراف محمد، عبد الرحمن، ومراجعة محمد خير عرقسوسي، تحقيق :محمد بن عبد الله العجلان، مكة: جامعة أم القري.ص50-70.

الشخون، (1984م) محاضرة في علم المعاني، ط1، مصر: كلية الدراسات الإسلامية والعربية. ص34.

شرف، عبد الله، (1993م)، شعراء مصر (1900م-1995م)، القاهرة: المطبعة العربية. ص23.

عبد السلام، عثمان، (2016م) المبسوط في علوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، ط1، ألورن: مطبع الهدى . ص 133.

عوض، طاهر عبد اللّطيف،(1985م) الإسلام في شعر حمام، القاهرة: مكتبات الكليات الأزهرية، جامعة الأزهر الشريف. ص44-152.

مجلس الأعلى للثقافة، (1987م)، منتخبات من الشعر العربي في العصر الحديث، القاهرة. ص67.

Riffaterre, Michael. 1978. Semiotics of poetry. Bloomington: Indiana University. Pp46.